٨٥
الوشاة

[البسيط]

أَمْسَتْ وُشاتُكَ قَدْ دَبَّتْ عَقارِبُها
وقد رَمَوْكَ بِعَيْنِ الغِشِّ وابتَدَرُوا(١)
تُريكَ أَعْيُنُهُمْ ما في صُدورِهُمُ
إِنَّ الصُّدورَ يُؤَدِّي غَيْبَهَا النَّظَرُ(٢)

٨٦
وقلن تزوَّج

[الطويل]

أَجَدَّ بِأَحْيَاءِ الْجَمِيعِ بُكُورُ
وَبَانَ الأَخِلَّاءُ، الَّذِينَ تَزُورُ(٣)
وشَقَّ عَصا الجِيرَانِ يَوْمَ تَرَحَّلُوا
نَوًى بِالْكُلَيْبِيَّاتِ عَنْكَ تَجُورُ(٤)

= يُبيح له رؤية من يودّ رؤيته كأنّه ينظر من خلف زجاجة، لذا فهو طوراً تحول الدموع المنهمرة من عينيه دون وضوح الرؤية، وطوراً آخر تزول الغشاوة عن عينيه ممّا يُبيح له الرؤية.

(١) و (٢) الوشاة: النمامون يتجسّسون عليك فينقلون أخبارك، إنّه المساء وفي ليل السمر يحلو الحديث. الوشاة استرقوا السمع والنظر وراحوا يتندّرون ويمزّقون سيرة الشاعر باختلاق الأكاذيب، وهم يتسابقون، كلّ حسب ما أوتي من موهبة اختراع القصص الكاذب، وهم تزيغ أعينهم فيبدون غير ما يخفون من خبث وغدر، وصدورهم ملئت كرهاً، ولكنّ أعينهم تخونهم فتكشف زيفهم وما تُخفي صدورهم.

(٣) أجدّ: أجتهد. البكور: هم الذين يصحون من النوم باكراً. مع إطلالة الفجر الأولى، هب جميع الأحياء باكراً، وهم على أهبة الرحيل وبعُد الأصحاب والأحباب الذين كنت أتردّد عليهم زائراً.

(٤) شقّ عصا الجيران: تفرّقوا. النوى: البعد. الكليبيات: اسم مكان. تجور: تميل. قدّر القدر بتشتت الجيران والبعد إلى الكليبيات وهي تشيح عنك بوجهها.

بَـرَاعَـةُ مَـكْـرُوهٍ مِـنَ الـبَـيْـنِ لَـمْ يَـكُـنْ
لَـهَـا دُونَ تَـكْـدِيـرِ الـصَّـفَـاءِ نَـكِـيـرُ[١]

مُـحِـبٌّ أَتَـاهـا أَنَّ مَـا بَـيْـنَ بِـيـشَـةٍ
وَنَـجْـرَانَ مُـخْـضَـرُّ الْـجَـنَـابِ مَـطِـيـرُ[٢]

أَيَـذْهَـبُ عَـقْـلـي بَـعْـدَ عِـلْـمـي وإِنْ عَـلا
عِـذارِيَ مِـنْ بَـعْـدِ الـمَـشِـيـبِ قَـتِـيـرُ[٣]

ومُـسْـتَـجْـهِـلـي بَـعْـدَ الـتَّـحَـلّـمِ نِـسْـوَةٌ
أَشَـارَ بِـلَـيْـلَـى نَـحْـوَهُـنَّ مُـشِـيـرُ[٤]

تَـعَـوَّدْنَ قَـتْـلَ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ كَـأَنَّـمـا
لَـهُـنَّ دِمَـاءُ الـمُـسْـلِـمِـيـنَ طَـهُـورُ[٥]

وَقُـلْـنَ تَـزَوَّجْ وارْعَ مَـا كَـانَ بَـيْـنَـنَـا
أَجَـارَكَ مِـنْ رَيْـبِ الـزَّمَـانِ مُـجِـيـرُ[٦]

---

(١) البين: البعد. النكير: المكروه من الأمور. الفراق رغم براعته بتفرّق الأحباب وتكدير صفو العيش، فهو مكروه ممن يستسلم للأقدار.

(٢) بيشة ونجران: موضعان. قسوة الحياة وجفاف الصحراء يحمل على الرحيل، فالمحب أخبر حبيبة الشاعر أن مكاناً خصيباً حيث صبغ أرضه مطر فاخضرّت جنبات الأرض ما بين بيشة ونجران.

(٣) قتير: طلائع الشيب الأولى في رأس المرء. العِذار: الشعر بجانب الأذن. يستفسر الشاعر وقد هاله عنصر المفاجأة أيجنّ وقد أخبر برحيل حبيبته، وقد بدأ الشيب يغزو رأسه حتى بلغ عِذاره.

(٤) و (٥) مستجهلي: ظنّ بي الجهل. التحلّم: التعقّل. ثمة من يظنّ بي الجنون، وقد استفقت على هول المفاجأة برحيل ليلى، قوله من عادة النسوة قتل من أحببهنّ، وكأنما دماء المسلمين حَلَّت لهنّ يفعلن بهم ما يشأن.

(٦) وإمعاناً بالكيد يطلبن من الشاعر أن يستبدل زوجة بليلى، وهن يدعُنّ أن يبعد الله تعالى عنه ريب الزمان.

أَرَدْنَ بَـلَائِـي مَـا قَـضَـيْـنَ لُـبَـانَـةً
فَـقَـدْ غَـارَ أَوْ كَـادَ الـنُّـجُـومُ تَـغُـورُ(١)

٨٧
إن المحب شكور

[الطويل]

شَـكَـوْتُ إلـى سِـرْبِ الْـقَـطَـا إِذْ مَـرَرْنَ بـي
فَـقُـلْـتُ: ومِـثْـلـي بِـالْـبُـكَـاءِ جَـدِيـرُ(٢)
«أَسِـرْبَ الْـقَـطَـا هـل مِـنْ مُـعِـيـرٍ جَـنَـاحَـهُ
لَـعَـلِّـي إلـى مَـنْ قـد هَـويـتُ أَطـيـرُ»(٣)
فَـجَـاوَبْـنَـنـي مِـنْ فَـوْقِ غُـصْـنِ أَرَاكَـةٍ
أَلَا كُـلُّـنـا يـا مُـسـتَـعـيـرُ مُـعـيـرُ(٤)
وأَيُّ قَـطَـاةٍ لـم تُـعِـرْكَ جَـنَـاحَـهَـا
فَـعَـاشَـتْ بِـضُـرٍّ والْـجَـنَـاحُ كَـسـيـرُ(٥)

(١) لبانة: حاجة. هؤلاء النسوة يبغين إيذائي وإنزال المصائب بي بعدما يقضين حاجتهنّ ويتشفّين بي ويقضين وطرهنّ منّي، بعدما ينبلج الفجر وتتكشف الحقائق.
(٢) سرب القطا: جماعة ضرب من الحمام البري. بين السماء والأرض بون شاسع وكذلك فالشاعر بعيد تفصله مسافات عن حبيبته، وهو يودّ لو يجد وسيلة تعينه على ذلك. ينظر إلى السماء بحيرة فيجد قطيع القطا يسرع الطيران، فينعى لها ضعفه وبكاءه الجدير بمن لا حيلة لديه.
(٣) و (٤) ورد البيت في: شرح شواهد شروح الألفية للعيني ١: ٤٣١، التصريح بمضمون التوضيح، للشيخ خالد: ١٣٣، ١٣٤، همع الهوامع، شرح جمع الجوامع للسيوطي ١: ٩١، الدرر اللوامع١: ٦٩، شرح الأشموني لألفية ابن مالك ١: ١٥١، وقد ورد البيت في ديوان العباس بن الأحنف: ١٤٣، يطلب الشاعر إلى ذلك السرب لو أن قطاة تعيره جناحيها يستعين بهما لبلوغ ديار الحبيبة، فكان الردّ أن كلّاً منّا مستعير ومستجير.
(٥) وما من قطاة تتخلّى عن جناحها؟ فهي إذاً تعاني الألم والأسى بغير جناح.